

قراءة في: "معذبو الأرض لفرانز فانون" بين الأصل والترجمة

زهراء بورزق

معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2

ملخص

لقد عمد المستعمر إلى مصادرة الكتاب منذ صدوره والإساءة إلى الكاتب، بسبب الأفكار التحررية التي يريد الكاتب نشرها، ومعارضته للسياسة الاستعمارية بصفة عامة والفرنسية بصفة خاصة، وما تقوم به من قمع في الساحة الجزائرية أيام الاستعمار والساحة الإفريقية أيضاً ولكنهم لم يفلحوا في ذلك، بل رسخت ترجماته إلى العربية والإنجليزية لأفكاره أكثر فأكثر.

Résumé:

Le système colonial a réquisitionné le livre depuis sa publication et a diffamé son auteur à cause des idées libérales qu'il vise à propager et sa position anti coloniale contre les crimes de la France en Algérie et en Afrique. Toutefois, ses tentatives ont échoué et les traductions qu'a effectuées l'auteur vers l'arabe et l'anglais existent toujours.

Mots clés : Colonialisme et le livre, Anti colonialisme, Traduction et Colonialisme,

Traduction période coloniale, Traduction en Algérie

Abstract

The colonial system has always requisitioned the book since its publication and has defamed its author because of the liberal ideas he seeks to propagate, and anti-colonial position against the crimes of France in Algeria and Africa. However, his attempts have failed, and to Arabic and English translations that the author still exist.

Key Words: Colonialism and the Book, Anti-Colonialism, Translation and Colonialism,

Translation in Colonial Period, Translation in Algeria

إن استراتيجية الترجمة إلى العربية التي قام بها كل من "جمال الأتاسي وسامي الدروبي" فقد حرصا فيها قدر المستطاع على التقيد بأفكار الكاتب والحفاظ على غيرية الآخر المستعمر، لإيصال رسالته ذات النزعة التحررية، -ولذلك يمكننا القول بأنهما سلكا استراتيجية التغريب-.

ونعرض فيما يلي بعض الأمثلة من المدونة للاستشهاد بها:

مثال 1:

يسرد الكاتب مثلاً العبارة الآتية:

"Moi, je voulais monter au djebel". P 242

وهي عبارة مقتطفة من العامية الجزائرية، ويقصد بها أنا أردت أن أجد، أو أن ألتحق بالجنود في الجبل، ولكن المترجمين ترجما العبارة ترجمة حرفية وحافظاً على بيئتها ومحليتها، فكانت على النحو الآتي:

"...أنا أردت أن أصعد إلى الجبال..." ص 257.

مثال 2:

ونجد كذلك العبارة الآتية:

"Que ce soit dans les Djemààs d'Afrique du Nord ou dans les réunions d'Afrique-Occidentale, la tradition..." P 33

فالكاتب خص لفظة "Djemààs" بسكان شمال إفريقيا وهي لفظة لها دلالتها الثقافية في الوسط الاجتماعي لهؤلاء السكان - والمجتمع الجزائري عينة منه - ف: "الجماعة" هم الذين يمثلون أعيان القبيلة وهم أصحاب الرأي أثناء الاجتماعات، بينما يغيب هذا الاصطلاح في الدول الغربية بإفريقيا، فكتفى الكاتب بلفظة "Réunions"، وهي الصورة الثقافية التي عمل المترجمان على إعادة صياغتها وإيصالها لقارئ الترجمة، فكانت ترجمة العبارة كالآتي:

"إن اجتماعات "الجماعة" بإفريقيا الشمالية أو في الاجتماعات التي تعقد بإفريقيا الغربية..." ص 52.

مثال 3:

كما نجد ألفاظا عربية وأخرى من العامية الجزائرية يوظفها الكاتب كما هي في النص الفرنسي مثلاً:

"Caïds", "Cheiks", "Douar", "Djebel", "Fellagas", "Oued", "Fellah"... ليبين بها

طبيعة المجتمع الجزائري المستعمر الذي يعيش في بيئة قروية، سكانه فلاحون، وشيوخ القرية هم الذين يتدبرون أمورها.

وكانت الترجمة ملبية لغرض الكاتب، فمثلاً بالنسبة للفظـة (P:90)"Caïds" التي وردت في صيغة الجمع، إذا ما ترجمها المترجمان إلى العربية في صيغة الجمع ستكون "القادة" وهي لا تلبي المعنى المقصود في النص الأصلي، لأنّ دلالتها السياقية توحى أكثر بالقادة السياسيين وتختلف عن الدلالة السياقية التي أرادها الكاتب، ولذلك ترجمها بـ: "الزعماء التقليديون" (ص:108) ونعتبر هذه اللفظة مؤدية أكثر.

ونرى من جهة أخرى أنّ الكاتب يوظف هذه الألفاظ لأنّه تبنى القضية الجزائرية، وأصبح يدافع عنها كونه فرداً من الشعب الجزائري، فنجدّه في أحد المقتطفات يدمج نفسه مع الشعب الجزائري ويقول:

"Nous, algériens, au cours de cette guerre avons eu l'occasion, le bonheur de toucher du doigt un certain nombre de choses". P 163

"وقد أتيح لنا نحن معشر الجزائريين خلال هذه الحرب التي نخوضها أن نلمس بأيدينا عدّة أشياء". ص178.

استعمل الكاتب ضمير المتكلمين "Nous" ويكون بذلك قد جعل نفسه صوتاً متحدثاً باسم كل الجزائريين الذين يدافعون عن الأرض والهوية والكرامة...، وهو الشيء نفسه الذي لمسناه في الترجمة العربية عندما نقرأ: "لنا نحن".

أمّا في مواضع أخرى من الكتاب، فقد عمد الكاتب إلى كشف تسلط المستعمر واحتقاره للسكان الأصليين، وما مارسه من سياسات شتى لتحطيمهم وطمس هويتهم، باعتبارهم شعب جاهل، حيواني الطباع والتصرف، لا يستطيع إدارة شؤونه... إلخ.

وكان المترجمان في كل مرة يحسنان إيصال الصورة التي أراد الكاتب تجسيدها بالمحافظة على التركيب والأسلوب.

مثال 4:

يقول الكاتب مثلاً في هذا المقتطف الذي يبرز فيه كيف أنّ المستعمر يرى السكان الأصليين على أنّهم مظهر من مظاهر العصيان والتمرد:

"La nature hostile, rétive, foncièrement rebelle est effectivement représentée aux colonies par la brousse, les moustiques, les indigènes et les fièvres". P 222

ووردت الترجمة على النحو الآتي:

"فالتبيعة المعادية، العصية، المتمردة، إنما هي في المستعمرات: الفياقي والبعوض، "السكان الأصليون" و"أمراض الحمى" ص 238.

لقد وضع المترجمان السكان الأصليين بين "شولتين" لإبراز احتقار المستعمر لهذه الفئة والسخرية منهم، فهم يعتبرونهم أمراضاً وأوبئة معدية.

مثال 5:

ويقول الكاتب في مقتطف آخر:

"On fait allusion aux mouvements de reptation du Jaune, aux émanations de la ville indigène, aux hordes, à la puanteur, au pullulement, au grouillement, aux gesticulations". P 28.

ووردت الترجمة إلى العربية كالآتي:

"...إنهم يستعملون هذه التعابير: زحف العرق الأصفر، أرواث المدينة الأصلية، قطعان الأهالي، تفريخ السكان، تنمل الجماهير... إلخ". ص 47.

فقد كان بإمكان المترجمين أن يلفظوا في هذه العبارات بحكم أنهما عربيين وهي عبارات محققة بالنسبة لهما، ومع ذلك ترجما المقتطف بكل موضوعية، وذلك من باب إيصال المقصد دوماً.

مثال 6:

ويقول أيضاً:

"Cette démographie galopante, ces masses hystériques, ces visages d'où toute humanité a fui, ces corps obèse qui ne ressemblent plus à rien, cette cohorte sans tête ni queue, ces enfants qui ont l'air de n'appartenir à personne, cette paresse étalée sous le soleil, se rythme végétal, tout cela fait partie du vocabulaire colonial". P 28

وردت الترجمة إلى العربية كالآتي:

"وهذا بعض ما يجري على لسان المستعمر من مصطلحات: هؤلاء السكان الذين يدبون على الأرض، هذه الجماهير المهسترة، هذه الوجوه التي فر منها كل معنى إنساني، هذه الأجسام المترهلة التي لا تشبه شيئاً من الأشياء، هذا القطيع الذي لا رأس له ولا ذنب، هؤلاء الأطفال الذين لا يبدو أنّ لهم أهلاً، هذا الكسل المستلقي تحت الشمس، هذه الحياة التي تشبه حياة النباتات... إلخ. ص 48.

لقد أسرد الكاتب الكثير من المقتطفات لفضح الاستعمار، وكانت الترجمة على الأغلب وفية للنص الأصلي ولأفكار صاحبه، فنجد أن المترجمين في هذا المقتطف قد أرجعوا العبارات المحقّرة للمستعمر، إذ يشبهه المستعمر على أنه حيوان أو نبات أو لا شيء، وأعادوا رسم الصورة التي أراد الكاتب تجسيدها في فكر القارئ بتطبيق تقنية الترجمة الحرفية واتباع استراتيجية التغريب.

مقاصد المترجم وتصرفاته لترجمة نص أدب ما بعد الاستعمار

مقدمة:

سننطلق في هنا إلى مدى تأثير مقاصد المترجم ونواياه وإيديولوجيته في ترجمة أدب ما بعد الاستعمار، الذي ظهر كفرع من فروع الترجمة الأدبية، وارتأينا تخصيص مبحث لدور المترجم في نقل فكر ما بعد الاستعمار والحفاظ على الآخر وغييرته في النص المترجم، لأننا نرى بأن شخصيته وعوامل بناءها عامل مهم لتحديد مدى أمانة المترجم، أكان محافظاً على آراء صاحب النص ذو الفكر التحرري أم أنّه وقف حائلاً دون نشرها خاصة إذا كان يترجم إلى لغة ذات نزعة مركزية.

ولهذا سنبدأ بتعريف الترجمة الأدبية كون ترجمة فكر ما بعد الاستعمار تعد فرعاً من فروعها، لتحديد مكانة المترجم وأهميته في هذه العملية الترجمية، وإلى أي مدى يسهم دوره وتكوينه الثقافي والإيديولوجي في توجيه النص المترجم.

1- ترجمة أدب ما بعد الاستعمار:

تعنى الترجمة الأدبية بترجمة الأدب بكل فروعها بما فيها القصة والرواية والشعر والمسرح ومختلف المقالات والدراسات ذات الطابع الفني الأدبي، وتندرج مدونة بحثنا ضمن الفرع الأخير الذي تهتم به الترجمة الأدبية، إذ يعد

كتاب "فرانز فانون" "معذبو الأرض" دراسة ذات طابع فني و أدبي لها في الأخير أهداف ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية... إلخ.

وتتناول الترجمة الأدبية بصفة عامة عدة مجالات كالفنّ والفكر والثقافة والتاريخ، وتحرص على نقل تأثير فكرة ما من لغة النص الأصلي إلى لغة النص الهدف، كما تحرص أيضاً على خلق الانطباع نفسه لدى قارئ الترجمة، وتعتبر هذه الفكرة البيت القصيد في فكر ما بعد الاستعمار الذي يحمل شحنة من الأفكار، وعلى المترجم أن يوصل تلك الأفكار بكل ما تحمله من شحنات.

يمثل كتاب "فانون" الذي أخذناه كأمثلة عن هذا الفكر دليل على ذلك، نظراً للكّم الهائل من الأفكار التي يطرحها سواء أكانت تاريخية أم ثقافية أم اجتماعية أم طبية أم نفسية... أمّا هدفنا الآن فهو إبراز مدى نقل المترجمين لروح النص لا هيكله فقط، وهنا تكمن الأهمية البالغة التي توليها الترجمة الأدبية للمترجم، إذ تحمله مسؤولية وعناء على المستويين الجمالي الأسلوبي واللفظي الاصطلاحي، فالعملية لا تتجلى في البحث عن المقابل اللفظي بإدخال قواميس، وإنما تقف على الإدراك والفهم لمقتضيات النص، الذي ليس عبارة عن الأفكار المتسلسلة، وإنما هو جملة من أحاسيس الكاتب وعواطفه وخيالاته وآرائه وتوجهاته الخاصة بالعالم الذي يحيط به، ويعتمد في التعبير عنها إلى توظيف الصور الجمالية والأساليب البلاغية، وهذا ما يثقل كاهل المترجم لأنّه مطالب بنقل المضمون الفكري والحفاظ على الشكل الفني.

ولتذلل الصعاب أمام المترجم يجب أن يكون مطلعاً ومتمقناً للغة المنقول منها واللغة المنقول إليها، "فمن دون معرفة حضارة اللغة المنقول منها لا يمكن إلا أن يكون ذلك عامل تعثر ورداءة للترجمة، فمعرفة خبايا المجتمع اللغوي المنقول منه تمكّن من الفهم الصحيح للمفهوم أو اللفظ في النص المطروح للترجمة، فيقع اختيار المقابل الصحيح أو الأقرب إلى الصحة على الأقل، في الترجمة بالمقياس إلى اللغة المنقول إليها". (1)

أضف إلى ذلك "فمهمة المترجم وقيّمته تتجلى في مدى قهره للصعوبات التي يطرحها تعدد اللغات وتباين الثقافات، مهمته أن يقهر الاختلاف الثقافي واللغوي، وأن يحو اسمه ليسمح لكاتب النص الأصلي أن يتكلم بلغة أخرى من دون أن يفقد هويته". (2)

وعليه يمكننا القول بأنّ المترجم عليه أن يكون ذلك الجسر المدعم بحرسات ثقافية ولغوية متنوعة تضمن لصاحب النص الأصلي أن ينقل من خلاله نصه إلى الضفة الأخرى دون أن تهز ريع تغير من شكله أو تنقص من وزنه.

يمكننا أن نستخلص من خلال هذا الطرح الشروط التي يجب أن تتوفر في مترجم النص الأدبي، وندرجها

كالآتي:

- يجب أن يكون ملماً إماماً شاملاً بلغة المصدر ولغة الهدف، وثقافتهما.
- يجب أن يكون على اطلاع بالظروف المحيطة التي نشأ النص في جوها.
- يجب أن يتبنى النص الأصلي ويحس بكل جزئياته حتى ينقله شكلاً ومضموناً قدر المستطاع إلى اللغة الهدف، ويترك لدى قارئ الترجمة الانطباع نفسه الذي يتركه النص في نفس القارئ الأصلي.
- يجب أن تكون له قدرات كافية ومهارات فنية في استعمال الصور البيانية والأساليب البلاغية حتى يحافظ على جمالية النص الأصلي.

غير أنّ المترجم له هو الآخر روحه ومشاعره التي تحركه أحياناً شعورياً وأحياناً أخرى لا شعورياً، فهل من الممكن أن يجمدها أثناء تعامله مع النص ويقصي وجدوده تماماً ليكون موضوعياً إلى أقصى حدّ أمام النص المترجم.

يقول "أوجين نيدا" "Eugene Nida" في هذا الصدد:

"ليس هناك مترجم يستطيع تجنب درجة معينة من التأثير الشخصي على عمله". (3)

فالجانب الشخصي والعاطفي للمترجم يجعله من الطبيعي أن يتأثر بالنص، فيدافع عما هو متناسب مع تفكيره الديني مثلاً أو الاجتماعي أو السياسي... إلخ، ولذلك يجب على المترجم أن يتحلى بالأمانة العلمية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وهو بين نارين كما يقول "بول ريكور": "يجد نفسه بين نارين: رغبة الوفاء وشكوك الخيانة". (4)

وهو كذلك بين مقاومتين على حد تعبير "أنطوان برمان" "Antoine Berman":

"Il veut forcer des deux cotés: forcer sa langue à se lester d'étrangeté, forcer l'autre langue à se déporter dans sa langue maternelle". (5)

فعناء المترجم يزداد عندما يجبر لغته على التشبع بالغرابة ويجبر اللغة الأخرى على النزوح إلى لغته الأم، فهو إن صح التعبير بصدد غرس نبتة في مكان غير مناخها ولذلك عليه أن يجري بعض التعديلات على تلك النبتة

حتى تتقبل المناخ، وأن يقوم أيضا بتغيير مناخي موضوعي محل التجربة إلى غاية أن تتقبل النبتة المناخ وتعود عليه. أضف إلى ذلك فإن معطيات الزمن والمكان تزيد من مكابدة المترجم، فعلى الرغم من أنها ثابتة بالنسبة إليه، إلا أنها متغيرة بالنسبة لجمهور القراء، ولذلك نجد أنه في كل مرة يريد فيها الترجمة، يطرح المترجم جملة من الأسئلة:

" من القارئ؟ ما مستوى تعليمه؟ ومن أي طبقة اجتماعية؟ وما سنه وجنسه؟ هل القارئ متعلم أم جاهل؟ متخصص أم غير متخصص؟ أين يمكن ورود النص؟...". (6)

فعندما يبدأ المترجم بطرح هذه التساؤلات فإنه سيقحم ذاته في العملية الترجمة إما بمساندة الأصل وإما بمساندة الهدف، ولهذا السبب فإننا سنميز بين نوعين من المترجمين فيما يخص مترجمي نصوص أدب ما بعد الاستعمار:

- مترجم ذو نزعة مركزية ينقل من أو إلى اللغة المسيطرة.
- مترجم تحرري ينقل من أو إلى اللغة المسيطر عليها.

2- تصنيف مترجمي نصوص أدب ما بعد الاستعمار:

2-1- مترجم ذو نزعة مركزية: نعتبر في هذه الحالة أن المترجم بصدد القيام بترجمة مركزية عرقية "Ethnocentrique"، ويعرفها الشاعر الفرنسي "كولاردو" "Colardeau" على النحو التالي:

"S'il y a quelque mérite à traduire, ce ne peut être que de perfectionner, s'il est possible, son original, de l'embellir, de se l'approprier, de lui donner un air national et de naturaliser en quelque sorte, cette plante étrangère". (7)

يرى الشاعر في هذا التعريف أن النص الأصلي عبارة عن نبتة أجنبية - كما سبق وأشرنا - عن بيئتها وتربتها ويجب أقلمتها. وانطلاقاً من هذا التعريف يمكن أن نطلق على هذه الترجمة أيضاً مصطلح "الترجمة الاستعمارية". ويقوم المترجم في هذا النوع من الترجمات بطمس خصوصيات النص الأصلي واستبدالها بثقافة اللغة الهدف وعاداتها وقيمتها، فيكون بذلك قد طمس أفكار نص ما بعد الاستعمار التحررية.

ويرجع سبب هذا التجاهل للنص الأصلي أو بالأحرى "خيانة النص الأصلي" إلى المترجم، لأنه هو المسؤول في اتخاذ القرار، وهو مترجم انخيازي ذو نزعة عرقية مركزية. وبما أن هذه الترجمات التي يخدم فيها المترجم ثقافة الغرب ويروج لها انطلاقاً من مبدأ خيانة النص الأصلي، فإن "باسنيت وتريفيدي"

"Bassnett and Trividi" يعتبران هذا الفعل "التاريخ المخزي للترجمة" (shamful history of translation) (8)

"وقد سئل الشاعر الإنجليزي إدوارد فيتزجيرالد" (1856) عن منهجيته في ترجمة رباعيات عمر الخيام من الفارسية إلى الإنجليزية، قال ما فحواه إنه يأخذ نتاج شعوب متخلفة ويحوّله إلى روائع أدبية بلغته المتفوقة، يعني اللغة الإنجليزية" (9)

ولذلك نقول أن الترجمة في هذه الحالة ترجمة استعلائية لأن المترجم ذو نزعة مركزية عرقية — كما سبق وذكرنا — ويرى لغة النص الأصلي لغة دونية وثقافته كذلك هي ثقافة أناس جاهلين متخلفين، ولذلك يجب عليه أن يغير ما هو دوني في النص إلى ما هو إنجليزي حضاري، بحكم أن لغتهم هي لغة التحضر والتقدم وثقافتهم كذلك.

وبالمطابقة نجد أن هذا "الأسلوب الذي يعرف بـ "transcription" أو "الترجمة الإبداعية"، انتعش من جديد في مرحلة ما بعد الاستعمار "Post-colonialisme"، وصار بدعة في زمن العولمة الذي فرضت فيه اللغة الإنجليزية نفسها كأداة للتواصل والتعبير على صعيد عالمي" (10).

فالمترجم ذو النزعة العرقية المركزية المساند للقطب المهيمن هو مترجم خائن للأصل، ورافض للآخر ولمد الجسور معه، لأنه هو الذي يقطعها بنفسه.

ويضرب لنا "علي درويش" في مقاله "الترجمة بين الاستعلاء الثقافي والاستلاب الحضاري" الصادر بمجلة "ترجمات" مثالا عن هؤلاء المترجمين ذوي النزعة المركزية بالشاعرة "آن فيريرون" الشاعرة الأسترالية المهتمة بالشؤون الأدبية والشعرية في العالم العربي، وخاصة في منطقة الخليج. إذ تتبنى منهج الترجمة الإبداعية: فتأخذ النص العربي وتصوغه باللغة الإنجليزية مع إخضاعه لمقاييسها البلاغية والجمالية والفنية" (11)

وبحجة الاستعلاء الثقافي للغة الهدف، تكون الشاعرة قد سلبت النص العربي روحه، وهو الأسلوب نفسه الذي يسلكه كل مترجم ذو نزعة عرقية مركزية، فيفقد بذلك نص فكر ما بعد الاستعمار رسالته الإنسانية والتاريخية والسياسية التي كتب من أجل نشرها، جراء خيانة اقترفها المترجم في سبيل إرضاء عاطفته وإيديولوجيته.

2-2- مترجم تحرري: وهي حالة المترجم ذو الفكر التحرري الذي ينقل من أو إلى اللغة المسيطر عليها.

ونجد أن هذه الحالة هي الحالة المتوفرة بين أيدينا في هذه المدونة. فما مدى أمانة المترجمين لصاحب النص وأفكاره؟ وما السبب في ذلك؟

يعتبر المترجمان "سامي الدروبي وجمال الأتاسي" من مناصري الأفكار التحررية في الوطن العربي ولهما مواقفهما في ذلك، ولهذا السبب نجد أنهما حرصا بعناية على نقل أفكار "فانون" في كتابه "معذبو الأرض". وقد كانا وفيين لآرائه المساندة لشعوب العالم الثالث والفاضحة والمنددة للسلطة الاستعمارية ونواياها، موظفا في ذلك القضية الجزائرية كتجربة معاشة بدأت تأخذ طابعها الدولي، وتطرح في المحافل الدولية. وأمام هذا التصعيد للقضية الجزائرية على المستوى الدولي "كانت الموجة الأولى من المترجمين العرب من السوريين واللبنانيين مدفوعة بعامل دعائي سياسي وهو مساندة الثورة الجزائرية، أذكر هنا كل من ترجمات سامي الدروبي..." (12)

نستخلص من هذا أن الدافع القومي السياسي التحرري هو الذي حث المترجمين على نقل النص وأفكاره بأمانة. وهذا ما تحسسنه في عدة مواقف من الترجمة:

- إذ يحافظ المترجمان على تمثل صورة المستعمر التي صورها الكاتب على أنه المواطن الأصلي وصاحب الأرض الذي انتهكت حقوقه، والذي تعرض لكل أنواع التعذيب الجسدية والنفسية، فأصبح مواطنا مريضاً نفسياً لأنه يرى خيرات بلاده يتمتع بها الآخر المستعمر، أما هو فلم ينل شيئاً سوى الاحتقار والتهميش وسلب هويته يوماً بعد يوم.
- كما حافظ المترجمان على تمثل صورة المستعمر أيضاً في إعادة نشر أفكار الكاتب التي يبعثها كرسالة للشعوب المستعمرة حتى لا ترضخ للاستعمار وتحافظ على مبادئها وقيمها كما فعل الشعب الجزائري، وذلك من خلال ما يأتي به من حين إلى حين من أفكار وألفاظ وليدة هذه البيئة الجزائرية. ولهذا تبنى المترجمان المقاربة اللسانية وصكا استراتيجية التغريب كعملة للتعامل بها أثناء ترجمة النص.

يؤكد هذا الطرح مقولة "نيدا" "Nida" الذي يرى بأنه من المستحيل أن نتوخى الموضوعية بنسبة مئة بالمائة في نص الترجمة، لأن إيديولوجية المترجم ومقوماته الدينية والتاريخية وتوجهاته العرقية هي التي تكون حائلاً بينه وبين الأمانة للنص الأصلي. فقد رأينا كيف أن الشاعرة "آن فيربيرن" تخون النص الأصلي وفاءاً للغة الهدف وثقافتها، بحكم أنها تعتبرها جزءاً من مقوماتها.

وكيف أن "سامي الدروبي وجمال الأتاسي" يحافظان هما الآخران على خلاف الشاعرة على النص الأصلي وفاء لمبادئهما ومقوماتهما وأفكارهما التحررية المناهضة للاستعمار.

ونستخلص من هذا العرض أن الأمانة لأفكار نص ما بعد الاستعمار مرهونة بالتوجه الفكري للمترجم، ما بين مناصر للأصل التحرري ومناهض له، ولكن هل أن تحيز المترجم لأفكاره ومبادئه وثقافته يكفل دائما الأمانة في الترجمة ويضمن شروط تحقيقها؟ ومتى تتحقق الأمانة لترجمة نصوص ما بعد الاستعمار، علما بأن كل المقاربات الترجية قد أحدثت من أجل الحفاظ على الأمانة للنص الأصلي كما يقول "ستاينر" "Steiner".

نعتقد بأن آراء المنظرين تختلف حول مفهوم الأمانة، وإلا ما كانت المقاربات والنظريات لتنوع وتبنى على مبادئ مختلفة، فهناك من يرى بأن الأمانة تكمن في الحفاظ على الشكل وهناك من يرى بأنها تكمن في الحفاظ على المضمون، وهناك من يرى بأنها تتحقق بمراعاة النص الأصلي وأفكار كاتبه وهناك من يرى بأنها تتحقق بمراعاة اللغة الهدف وقارئها، وفي ظل اختلاف وجهات النظر بين المنظرين حول مفهوم الأمانة، فإنه من الصعب على المترجم أن يصل لها خاصة في النص الأدبي وستكون دائما نسبية، وهذه هي النار التي يقع وسطها المترجم على حد تعبير "بول ريكور". فمهما كانت درجة دقة المترجم فإنه سيتهم لا محال بالتقصير في جانب من الجوانب، وستشوب ترجمته بعض النقائص إما على مستوى الشكل والتركيب وإما على مستوى المعنى. ونجد أن "إبراهيم داسيكو دان بابا" "Ibrahim Dasuki Dan baba" يقول في هذا الصدد:

"Puisque la fidélité qui n'est jamais totale dépend de la prise de position du traducteur vis-à-vis de sa traduction, la question d'imperfection devient évidente, aucun traducteur ne peut échapper de cette défaillance. Quelle que soit la méthode adoptée, il restera toujours une lacune".(13)

وتبقى الأمانة إذا نسبية في الترجمة، لأنه مهما كانت الطريقة التي يطبقها المترجم أثناء ترجمته، فإن الخلاف سيبقى قائما دوما بين مساندي الحفاظ على الكتاب الأصلي وآراء صاحبه وهم من يطلق عليهم "les sourciers" وبين من يراعون القارئ وقواعد اللغة الهدف وهم "les ciblistes". وفي إطار من يعارض الأمانة للنص الأصلي ومن يوافقها، يمكننا القول بأن الأمانة في الترجمة أمانتين، وذلك ما يطلق عليه "أنطوان بيرمان" (la double fidélité) "Antoine Berman" "الأمانة المزدوجة"، فقد أحدث هذا المفهوم انطلاقا من تعريف "روزنزفايت" "Rosenzweig" للترجمة:

"Traduire: c'est "servir deux maitres", l'œuvre et la langue étrangère, le public et la langue propre".(14)

فالمترجم عليه إذا أن يقرأ النص ويفهمه فهما جيدا ليلم بكل دلالاته الظاهرة والخفية بين الأسطر لينقلها كما هي إلى القارئ في اللغة الهدف ليحدث في نفسه الأثر نفسه الذي يحدثه النص في نفس القارئ الأصلي، إلا أن المترجم سيخل بالنص في جانب من الجوانب وهي المشكلة القائمة دائما لأن قوة اللفظة ودلالاتها وإيحائها تختلف من لغة لأخرى وأسلوب التعبير عن تجربة ما يختلف من لغة لأخرى أيضا، زد على ذلك: الاختلافات البيئية والزمنية والثقافية... إلخ، كل هذه عوامل تتحكم في النص الذي يعتبر جملة متداخلة من العوامل اللسانية وما فوق اللسانية، فإن استطاع المترجم أن يتجاوز عقبة العوامل ما فوق اللسانية فإنه سيكون حتما في نقل العوامل اللسانية التي تتمثل في المستويات الصوتية والأسلوبية والدلالية والنحوية... إلخ.

"Cependant, le problème est loin d'être résolu, car si l'on peut être fidèle à la sémantique, à la morphologie, à la phonétique, même à la stylistique séparément, on n'arrive jamais à réaliser toutes ces fidélités en même temps"(15)

- وفيما يخص مدونة بحثنا، فإننا نرى بأن المترجمين حرصا قدر المستطاع على أن تكون الأمانة للنص الأصلي وما يبرر ذلك هو اعتمادهما على تطبيق المقاربة اللسانية واستراتيجية التغريب. ويتبين لقارئ الأصل والترجمة أن المترجمين حرصا على التقيد بأفكار الكاتب التي تتمثل في:

- التأكيد على أهمية محو الاستعمار وخلق إنسان جديد واع يفرض نفسه في التاريخ. فنجد الكتاب يبدأ بهذه العبارة "محو الاستعمار" وأنها تكررت كثيرا خاصة في البداية لإبراز أهمية هذا الحدث.
- نشر الوعي في أوساط شعوب العالم الثالث ليتخلصوا من عقدة النقص في العلاقة بين "الأنا" المستعمر و"الآخر" المستعمر، وأنه قادر على بعث نفسه في ظل مقومات إنسانية عادلة.

يقول فانون:

"Elle introduit dans l'être un rythme propre, apporté par les nouveaux hommes, un nouveau langage, une nouvelle humanité". P 22

الترجمة:

"إن محو الاستعمار يثبت في الوجود إيقاعا خاصا يجرى به الرجال الجدد، ويحمل إلى الوجود لغة خاصة وإنسانية جديدة". ص 42.

ويقول أيضا:

"Le colonisé, donc, découvre sa vie, sa respiration, les battements de son cœur sont les mêmes que ceux du colon. Il découvre qu'une peau de colon ne vaut pas plus qu'une peau d'indigène. C'est-à-dire que cette découverte introduit une secousse essentielle dans le monde. Toute l'assurance nouvelle et révolutionnaire du colonisé en découle. Si, en effet, ma vie a le même poids que celle du colon, son regard ne me foudroie plus, ne m'immobilise plus, sa voix ne me pétrifie plus. Je ne me trouble plus en sa présence. Pratiquement, je l'emmerde. Non seulement sa présence ne me gêne plus. Mais déjà je suis en train de lui préparer de telles embuscades qu'il n'aura bientôt d'autre issue que la fuite". P 31

الترجمة:

"يكشف المستعمر إذا أن حياته وتنفسه وخفقات قلبه لا تختلف عن حياة المستعمر وعن تنفسه وضربات قلبه. ويكتشف أن جلد المستعمر ليس خيرا من جلد رجل من السكان الأصليين. ويحدث هذا الاكتشاف هزة أساسية في العالم. إن كل ما يحس به المستعمر من ثقة جديدة وثورية إنما ينبع من هذا: إذا كان لحياي من القيمة مثل ما لحياة المستعمر، فلن تخيفني بعد الآن نظرتي، لن تسمري في مكاني، لن يجمدي صوته. لن أضرب أمامه، لن أعابأ به، لن يربكني وجوده، بل إنني منذ الآن أعد له من الكمائن ما يجعله في القريب لا يجد لنفسه مخرجا غير الهرب". ص 50.

والأمثلة كثيرة لا نستطيع أن نذكرها كلها.

● التحذير من البورجوازية الوطنية المتلهفة للاستحواذ على السلطة ومن مطامعها.

يقول فانون:

"Nous avons dit que la bourgeoisie colonisée qui accède au pouvoir emploie son agressivité de classe à accaparer les postes anciennement détenus par les étrangers". P 132

الترجمة:

"قلنا إن البورجوازية المستعمرة التي تتسلم مقاليد السلطة، تصب طموحها الطبقي على احتكار الوظائف التي كان يستأثر بها الأجانب". ص 149.

- إبراز الحقد الدفين للغرب تجاه شعوب إفريقيا وتجاه هذه القارة بحيث يرونها مأوى للمتوحشين وموطنا لأكلي لحوم البشر والزنج وهذا على حد تعبير فانون.
- كشف نوايا المستعمر على محاربة الدين الإسلامي بإفريقيا وخاصة بشمال إفريقيا والدول العربية.

يقول فانون:

"C'est le journal "Afrique Nouvelle" qui chaque semaine distillera la haine de l'Islam et des Arabes.....on parle d'impérialisme arabe et l'on dénonce l'impérialisme culturel de l'Islam". P 136

الترجمة:

"... تصدر جريدة "إفريقيا الجديدة" كل أسبوع لتعبر عن كره أصفر نحو الإسلام والعرب.....وهم يتحدثون عن استعمار عربي، وينددون بالاستعمار الثقافي الذي يمارسه الإسلام". ص 153.

يهدف الكاتب من وراء هذه الأفكار التحررية إلى إقامة عدالة إنسانية واجتماعية وثقافية وسياسية، وكان المترجم يدافع عنها بالتقيد بالأمانة في المضمون والمعنى قدر المستطاع.

أما فيما يخص الأمانة في الشكل فيبره استعمال المترجم للمقاربة اللسانية وخاصة لتقنية الترجمة الحرفية التي تحافظ على الألفاظ والتعابير والأسلوب، إلا أننا سجلنا بعض الهنات والمطبات التي وقع فيها المترجم جراء التقيد الشديد بالترجمة الحرفية التي كان ينجر عنها أحيانا ركافة في التعبير وعدم تألفه مع ما هو دارج في اللغة العربية.

وعليه يمكننا القول بأن الأمانة في الترجمة تبقى نسبية، فحتى وإن كانت أفكار الكاتب هي نفسها أفكار المترجم ويدافع عنها لنقل أفكار أدب ما بعد الاستعمار، فإن ذلك سيشكل أمامه بعض العراقيل أثناء إعادة التعبير في اللغة الهدف لأنه يدخل "الغرابية" على هذه اللغة وقارئها، وقد يخل بنظامها اللغوي ونظام بنائها وهذه النقطة تعد من عيوب استراتيجية التغريب التي أشرنا إليها سابقا.

وعليه فإن شروط تحقيق الأمانة هي:

- الأمانة لمقصد الكاتب الأصلي.
- الأمانة للغة الهدف.

3- شروط تحقيق الأمانة في ترجمة أدب ما بعد الاستعمار:

3-1- الأمانة لمقصد الكاتب:

يتعين على المترجم أن يتحرى مقاصد الكاتب وأن يكون وفيا لها، إذ تتوقف الأمانة لمقاصد الكاتب على الفهم الصحيح لقول الكاتب، وإن أي انحراف عن المعنى الأصلي يخل في عملية الترجمة التي يتحول فيها المترجم من متلقي إلى ناقل للرسالة، فكيف لناقل الرسالة أن يقوم بمهمته في حين أنه لم يتوصل إلى الفهم الصحيح لمقصود الكاتب وكيف له أن يعيد تمثيل مقصد الكاتب في حين أن التمثيل الذي ارتسم في فكره أعطى صورة خاطئة عن المعنى الصحيح، وليضمن الكاتب تمثيل المعنى الصحيح عليه أن لا يكتفي بدلالات الكلمات لوحدها، وإنما عليه أن يتعامل معها في سياقها النصي.

ويقسم "دانييل جيل" "Daniel Gille" أفكار الكاتب إلى قسمين: (16)

الأفكار الأساسية.

● الأفكار الفرعية: وتتمثل في:

- الأفكار الشخصية Les informations personnelles.
- الأفكار التي تفرضها الاختلافات اللسانية Les informations induites par les contraintes linguistiques.
- الأفكار التوجيهية Les informations d'orientation.

أما الأفكار الأساسية فهي التي تمثل أساس النص، فعلى المترجم أن يفهمها جيدا وأن ينقلها بأمانة معتمدا في ذلك على الطريقة الأكفل بالحفاظ على المعنى. وأما الأفكار الفرعية فيستحب الحفاظ عليها إن أمكن، لأنها جزء من آراء الكاتب.

3-2- الأمانة للغة الهدف:

تتمثل الأمانة للغة الهدف في احترام خصائصها، فإذا ما توصل المترجم إلى المعنى المقصود، يتوجب عليه بعد ذلك إعادة صياغة المعنى مراعيًا في ذلك الخصائص النحوية والصرفية والتركيبية للغة الهدف، ولكن يبقى ذلك دوما في حدود الدلالة السياقية لتراكيب النص الأصلي وأسلوب كاتبه.

نستنتج من خلال هذا العرض الذي قمنا به أنّ الترجمة تسير على خطى القراءة، فهي تلازمها منذ البداية حتى النهاية، كما أنّ تقيد المترجم القارئ بالقراءات المجدية التي أشرنا إليها يجعل قراءاته تكون دقيقة، ودقة القراءة تجعل المترجم القارئ يأخذ بعين الاعتبار الإطار الزمني والمكاني للنص الأصلي حتى يسهل عليه ملأ فراغات عدم التحديد إمّا تقيداً بالكاتب والنص الأصلي ومقاصده وإمّا مراعاة للقارئ ومتطلباته، وذلك حسب الاستراتيجية التي ينوي المترجم اتباعها، ومع ذلك تبقى إعادة الترجمة ومراجعة الترجمة إعلان مستوجبان ومحبذان أثناء العمل الترجمي، لكي يرسى المترجم على شط نص آمن لا تعكر الخيانة صفو هوائه، خاصة في نص أدب ما بعد الاستعمار الذي يتطلب التدقيق والتحليل لتتضح الرسالة المراد إيصالها، فعلى المترجم القارئ أن يتحلى بروح المترجم والأديب الناقد حتى تكون قراءته تحليلية موضوعية وشاملة لجميع جوانب النص فترسم في ذهنه تمثلات صائبة وتكون الترجمة أقرب للأصل قدر الإمكان، وذلك من خلال الحفاظ على القيمة الدلالية لألفاظ النص وخاصة بالنسبة لتلك الألفاظ والعبارات التي تضيي على النص طابعه ألما بعد استعماري، كالحفاظ على اللفظ المقترض والقيم المعنوية للصور البيانية.

ونرى بأن الحفاظ على هذه الخصوصيات يتم بتطبيق المقاربة اللسانية التي تحافظ إلى حد بعيد على فكر ما بعد الاستعمار وتضمن له استمراريته في ظل الهيمنة المركزية وفي ظل العولمة، فهي تحافظ على الآخر المستعمر بإدراج جوانب من لغته وثقافته من خلال استعمال اللفظ المقترض على سبيل المثال، أما بالنسبة للمقاربات الأخرى فإن تطبيقها على نص ما بعد الاستعمار يكون "بتحفظ"، لأنها تراعي القارئ وثقافته. فبالنسبة لحدود التأويل فهي ضعيفة في نص ما بعد الاستعمار وذلك من أجل المحافظة على غيبيته بنقل ألفاظه وأفكاره معاً، وهذا ما يتنافى مع مبادئ النظرية التي تهمش اللفظ بمجرد الحصول على المعنى، وتعيد صياغته في إطار نظام اللغة الهدف، كما أنها تفسح المجال لتعدد المعنى. وبالنسبة لمقاربة الغرض فمجال استعمالها في مدونتنا مسموح لأن غرض القارئ هو نفسه غرض الكاتب، أما في حالات أخرى فيجب أولاً معرفة مقصد المترجم، فإن كان مسانداً فلا ضير في استعمالها وإن كان مهيمناً ذو نزعة مركزية فإن استعمالها يبعد المترجم عن الأمانة للنص الأصلي، ونستطيع القول بأنه عند توافق غرض الكاتب مع غرض قارئ الترجمة فإن المقاربة اللسانية تصبح مكافئة لمقاربة الغرض إلى حد بعيد لأن هدي النصين الأصلي والمترجم هدف واحد.

كما نرى بأن الاستراتيجية التي تحافظ على النص الأصلي وآراء كتّاب أدب ما بعد الاستعمار هي استراتيجية "التغريب" التي تكفل خصوصيات النص اللغوية والثقافية والبيئية والتاريخية، وتتماشى مع المقاربة

اللسانية التي أشرنا سابقا بأنها هي المقاربة المطبقة لترجمة هذا الأدب، لأنها تهتم بالنص الأصلي لغة ومعنى على حساب اللغة الهدف وقارئها، خاصة إن كان غرض الكاتب من الترجمة هو نفسه غرض الكاتب الأصلي. وتضمن هذه الاستراتيجية مكانة الأقليات اللغوية والثقافية في ظل هيمنة العولمة وسياساتها الاحتوائية التي تهدف إلى نشر لغة وثقافة واحدة.

ويجب على مترجم أدب ما بعد الاستعمار أن يكون مترجما تحريرا لا صاحب نزعة مركزية ليتحرى الأمانة التامة لمعنى ومقصد الكاتب الأصلي، فينقل أفكاره في إطار ما يسمح به تركيب اللغة الهدف، مع الحفاظ على تلك "الألفاظ" و"الصور الغريبة" التي تحافظ على "الآخر" والتي أراد الكاتب نشرها.

الهوامش:

- (1) مرتاض عبد المالك, مقدمة في نظرية الترجمة, ع/6, بونة للبحوث والدراسات, ديسمبر 2006, ص:45.
- (2) بن عبد العالي عبد السلام, في الترجمة, ط1, بيروت, دار الطباعة والنشر, 2001, ص:35.
- (3) نيدا يوجين, نحو علم الترجمة, تر: النجار ماجد, الجمهورية العراقية, مطبوعات وزارة الإعلام, 1976, ص:300.
- (4) بول ريكور, عن الترجمة, تر: حسين خمري, ط/1, الجزائر, منشورات الاختلاف, 2008, ص:16.
- (5) Antoine Berman, L'épreuve de l'étranger, Gallimard, 2002, P: 18
- (6) بيتر نيومارك, اتجاهات في الترجمة, جوانب من نظرية الترجمة, تر: محمود إسماعيل صيني, الرياض, دار المريخ, 1986, ص:46.
- (7) Marie Vrinat Nikolov, Miroir de l'altérité: la traduction, Grenoble, ELLUG, 2006, P:108.
- (8) Jeremy Munday, Op-cite, P: 134.
- (9) علي درويش, الترجمة بين الاستعلاء الثقافي والاستلاب الحضاري, ترجمات, العدد الأول, 2006, ص:102.
- (10) المرجع نفسه, ص:102.
- (11) المرجع نفسه, ص:103.
- (12) أمين الزاوي, من الترجمة إلى عودة النص, سؤال في ترجمة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إلى العربية, المترجم. العدد/1, وهران, دار الغرب للنشر والتوزيع, جوان 2001, ص:60.
- (13) Ibrahim Dasuki Dan baba, Les Problèmes Pratiques de la Traduction Littéraire, Synergies Afrique Centrale et de l'Ouest, N°4, 2011, P:94.
- (14) Antoine Berman, Op-cite, P:61.
- (15) Yuan Xiaoyi, Fidélité ou récréation. Meta, Vol:44, N°01, 1999, P:63.

- 16) Daniel Gille, La traduction: la comprendre, l'apprendre, 1ere Ed, Presses universitaires de France, 2005, P:71.